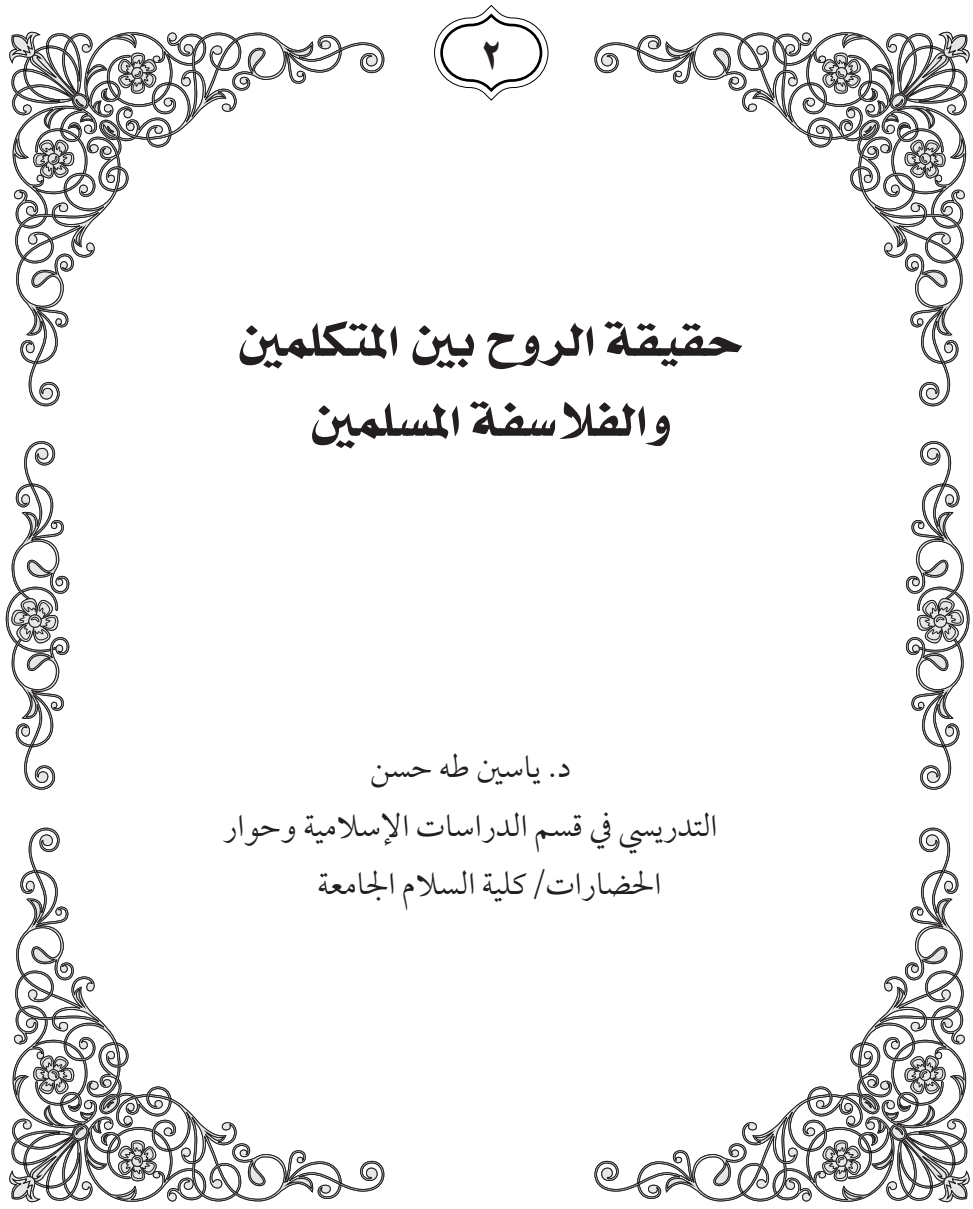

٢

حقيقة الروح بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين

د. ياسين طه حسن
التدريسي في قسم الدراسات الإسلامية وحوار الحضارات/ كلية السلام الجامعة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

الهدف من البحث، التعرف على معنى الروح في اللغة، ومعناها في القرآن الكريم ،وماذا تعني الروح عند كل من المتكلمين والفلاسفة المسلمين؟ وبيان العلاقة بين الروح والنفس، بذكر أقوال المتكلمين والفلاسفة في ذلك، وما هو حكم البحث في الروح ؟ وهل الروح في نظرهم قديمة أم حادثة؟ وما هي حقيقتها ؟

وبعد عرض فقرات البحث، فالروح في اللغة، أصلها الريح، وقلبت الياء واواً لانكسار ما قبلها، وهذا المعنى يفيد الخفة وسرعة الحركة، أما في القرآن الكريم، فالراجح أنها تعني جبريل عليه السلام، والروح والنفس أسمان لمعنى واحد، وللعلماء في حكم البحث عن حقيقة الروح قولان، منهم من يرفض البحث عن حقيقة الروح تنزيهاً على سبيل الندب؛ لأنه مما أستأثر الله تعالى بعلمه، ومنهم من يرى جواز البحث عن حقيقة الروح؛ من باب التفكر في خلق الله تعالى الذي حث عليه القرآن في مواطن كثيرة من آياته، والروح حادثة وليست قديمة؛ لأنه لا قديم إلا الله سبحانه، والأرواح التي أشهدها الله على أنفسها في عالم الذر أسبق من الأبدان، ولكن الأرواح التي ينفخها الملك في كل فرد على حدة في وقتها المحدد لها من قبل ربها، بعد اكتمال خلق الإنسان، فهي متأخرة عن البدن، وقد أتفق أغلب العلماء على بقاء الروح بعد الموت ومفارقتها البدن، ولم يخالف في ذلك إلا نفر قليل لا يعتد برأيهم،، وحقيقة الروح عند الذين جوزوا البحث فيها، انحصرت أقوالهم بين قائل أنها جسم مخالف بالماهية للجسم المحسوس، وآخر أنها ليست جسماً ولا عرضاً لجسم، وهو تمام قول الفلاسفة، وقولهم فيها، عبارة عن أجزاء نورانية سماوية لطيفة الجوهر، والراجح من ذلك أنها سر من أسرار الله تعالى الربانية لا تحتمل العقول وصفها .

Abstract

The aim of the research is to know the meaning of soul in convention and its meaning in the hol Holy Quran and what soul means for Muslim theologians and philosophers as well as to show the relationship between soul and self through mentioning what theologians and philosophers say in this regard and what is the judgement towards surveying soul and whether soul ancient is ancient or newly introduced.After presenting the paragraphs of the research, soul in convention means wind in origin .This meaning implies swiftness and speedy movement, but in the Quran the dominating view is that it means Gabriel (peace be upon him)

and that soul and self are two names for one meaning.For scholars ,there are two views in this regard .The first view doesn›t allow any research on soul on the assumption that the the glorification goes to God alone while the second group of scholars allows researching into the soul as part of pondering over the creation of God which is encouraged by the Quran and because soul is newly introduced and not ancient for only God is ancient.

While another group of scholars holds that is is allowable to make research on the reality of soul a part of pondering over the creation of God which the Quran urges on in many places of the verses..Soul is newly introduced and not ancient because there is nothing ancient but God , the exalted, the high .The souls which God has made them testify against their selves in the other world are prior to bodies and most scholars have agreed that souls remains eternal after leaving the body and this is the view of the overwhelming majority and the reality of those who made permissible to conduct research on souls have limited their view to the saying between the saying that it is an object contrary to the physical body, and another that it is not a body or an object of the body, which is the same as that of philosophers, who say that they are parts of the divine celestial light substance, and more likely that it is a secret of God Almighty God that minds can not bear describing it.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الملك الحق المبين أمر عباده بإعمال التدبر في آياته ومخلوقاته قلباً وفكراً، قال تعالى: « وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) « الذاريات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب الحق وسيد الخلق وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين وسلم تسليما.

وبعد :

عنوان بحثي، حقيقة الروح بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين، المبحث الأول عرضت معنى الروح في اللغة ومعناها في القرآن الكريم، أما المبحث الثاني، فقد بينت أن الروح والنفس أسمان لمعنى واحد ذاكراً في ذلك أقوال العلماء، وفي المبحث الثالث ذكرت حكم البحث في حقيقة الروح

وفي المبحث الرابع تكلمت عن حقيقة الروح وأوجزت فيه أقوال نخبة من العلماء في حدوث الروح وقدمها وما يتعلق بهذا المبحث من مفردات متمثلة بخلق الروح هل كان قبل البدن أم بعده، وهل تفنى الأرواح عند الصعقة الأولى أم لا تفنى ؟ وبينت الراجح من أقوالهم، وختمت بحثي بذكر أقوال المتكلمين والفلاسفة المسلمين في حقيقة الروح مبينا أدلتهم التي استندوا عليها فيما ذهبوا إليه في مسألة حقيقة الروح موضحا الراجح من أقوالهم.

وتمثلت مشكلة الدراسة وأهميتها: بالإجابة على الأسئلة الآتية: ما الروح؟ ما العلاقة بين الروح والنفس؟ ما حكم البحث في الروح وحقيقتها؟ هل الروح حادثة أم قديمة؟ ما تعلق الروح بالبدن؟ ما أقوال المتكلمين في حقيقة الروح؟ ما أقوال الفلاسفة في حقيقة الروح؟ وأما أهمية الدراسة فتتمثل بالإجابة على هذه التساؤلات التي كثر فيها الكلام، فمن هنا تتضح أهمية هذه الدراسة العقدية.

وأما الهدف الرئيسي من اختياري لهذا الموضوع؛ التفكر والتدبر في خلق الإنسان وإيجاده وتكوينه، التعرف على معنى الروح في اللغة، والتعرف على معنى الروح في القرآن الكريم، التعرف على المراد من الروح والنفس، التعرف على حكم البحث في الروح وحقيقتها، التعريف بالروح حادثة أم قديمة، التعرف على تعلق الروح بالبدن، التعرف على أقوال المتكلمين في حقيقة الروح، التعرف على أقوال الفلاسفة المسلمين في حقيقة الروح، إمكان الإفادة من نتائج البحث لطلاب العلم في حقيقة الروح عند المتكلمين والفلاسفة المسلمين.

وقد اعتمدت في بحثي المنهج التحليلي، حيث قمت بتعريف المصطلحات المتعلقة بالبحث وكذلك المصطلحات ذات الصلة بالموضوع، وفق اللغة ووفق المصطلح العقدي وإسناد الأحكام الواردة في هذه النصوص إلى الكتاب والسنة، المنهج التاريخي، وذلك بالرجوع إلى المصادر والمراجع المتوفرة والمتعلقة بموضوع البحث.

هذا وقد ضم هذا البحث بعد هذه المقدمة أربعة مباحث، وفي كل مبحث عدد من المطالب، وذيلته بخاتمة، المبحث الأول: معنى الروح، وفيه

مطلبان: الأول: الروح في اللغةً، الثاني: الروح في القرآن الكريم، المبحث الثاني: بين الروح والنفس، المبحث الثالث: حكم البحث في حقيقة الروح، المبحث الرابع: حقيقة الروح وفيه ثلاثة مطالب: الأول: الروح بين الحدوث والقدم، والثاني: تعلق الروح بالبدن، والثالث: حقيقة الروح بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين.

وفي الختام اسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني هذا العمل خالصاً لوجهه أنّه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الأول: معنى الروح

في هذا المبحث سوف أعرض معنى الروح في اللغة، وماذا تعني هذه الكلمة في القرآن الكريم حيث أنها وردت بمواضع متفرقة، وقسمت هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول: معنى الروح في اللغة

الروح: قال صاحب تاج العروس [1] : « الراء والواو والحاء أصلٌ كبير مطّرد، يدلُّ على سَعَةٍ وفُسْحَةٍ واطّراد. وأصل [ذلك] كلِّه الرِّيح. وأصل الياء في الريح الواو، وإنّما قلبت ياءً لكسرة ما قبلها. فالرُّوح رُوح الإنسان، وإنّما هو مشتق من الرِّيح، وكذلك الباب كلّه. والرَّوْح: نسيم الرِّيح. ويقال: أراحَ الإنسانُ، إذا تنفَّسَ « .

فصاحب التاج تناول تعريف الروح من حيث تركيب حروف كلمة الروح، ويفهم من قوله أن الروح تتضمن معنى الإطلاق وعدم التقيد، أما ابن منظور فقوله في معنى الروح جاء فيه [2]:» الرِّيحُ نَسِيم الهواء وكذلك نَسيم كل شيء، وهي مؤنثة، وفي التنزيل: ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فيها صِرٌّ أَصابت حَرْثَ قوم ﴾ هو عند سيبويه فَعْلٌ وهو عند أَبي الحسن فِعْلٌ وفُعْلٌ والرِّيحةُ طائفة من الرِّيح، عن سيبويه قال: وقد يجوز أَن يدل الواحد على ما يدل عليه الجمع، وحكى بعضهم رِيحٌ ورِيحَة مع كوكب وكَوكَبَةٍ وأَشعَر أَنهما لغتان وجمع الرِّيح أَرواح وأَراوِيحُ جمع الجمع، وقد حكيت أَرْياحٌ وأَرايِح ... أَرْواح فقال: قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وأَرسلنا الرِّياحَ ﴾ وإِنما الأَرْواحُ جمعُ رُوح ....ياؤُها واو صُيِّرت ياء لانكسار ما قبلها وتصغيرها رُوَيْحة وجمعها رِياحٌ وأَرْواحٌ ....وإِذا رجعوا إِلى الفتح عادت إِلى الواو، كقولك: أَرْوَحَ الماءُ وتَرَوَّحْتُ بالمِرْوَحة ويقال: رِيحٌ ورِيحَة كما قالوا: دارٌ ودارَةٌ، وفي الحديث: هَبَّتْ أَرواحُ النَّصْر، الأَرْواحُ جمع رِيح، ويقال: الرِّيحُ لآل فلان أَي النَّصْر والدَّوْلة وكان لفلان رِيحٌ، وفي الحديث: كان يقول إِذا هاجت الرِّيح اللهم اجعلها رِياحاً ولا تجعلها ريحاً « .

فالملاحظ أن الذي يجمع التعريفين أن كلمة الروح أصلها الريح، وقلبت الياء واواً لانكسار ما

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ هـ)، معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٥٤، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

(٢) انظر: ابن منظور(ت ٧١١هـ)، لسان العرب ٢/ ٤٥٥ مادة روح، دار صادر بيروت - لبنان، ط ١.

قبلها، وهذا المعنى يفيد الخفة وسرعة الحركة.

المطلب الثاني: الروح في القرآن الكريم

وردت كلمة الروح في القرآن الكريم في مواضع متفرقة، وفي هذا المطلب سوف اذكر الآيات التي وردت بها هذه الكلمة، وساكتفي بذكر الطبري والرازي كنموذجين من المفسرين، لبيان معنى الروح في الآيات التي تضمنتها، وما هو وجه الربط بين المعنى اللغوي والمعنى لدى المفسرين .

الآيات التي وردت بها كلمة الروح:

قوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ االبقرة: ٨٧، ٢٥٣.

﴿ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ المائدة: ١١٠.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الاسراء: ٨٥.

﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ الشعراء: ١٩٣ .

﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ المجادلة: ٢٢ .

﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ غافر: ١٥ .

﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ النبأ: ٣٨ .

فهذه الآيات تضمنت ذكر كلمة الروح، والعلماء اختلفوا في تحديد معناها بالشكل الدقيق، بين قائل، هو جبريل عليه السلام، وقائل الروح الذي أيد الله تعالى به عيسى هو الإنجيل، وقائل الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى، وقد رجح الطبري المراد من معنى الروح بقوله [1]: « وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال:»الروح» في هذا الموضع جبريل. لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به، كما أخبر في قوله: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ) [المائدة: ١١٠] « .

أما الرازي فقد ذكر ما ذكره الطبري من الروايات الواردة في معنى الروح، وسميت الروح عنده روحا؛ لأن بها حياة البدن، وملخص قوله [2]: « واعلم أن إطلاق اسم الروح على جبريل وعلى الإنجيل وعلى الاسم الأعظم مجاز؛ لأن الروح هو الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه، ومعلوم أن هذه الثلاثة ما

(١) انظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن ٢/ ٣٢١ وما بعدها، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠.

(٢) الرازي، الإمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٣/ ١٩٠، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

كانت كذلك إلا أنه سمي كل واحد من هذه الثلاثة بالروح على سبيل التشبيه « .

ومن خلال ما تقدم فالطبري رجح تحديد معنى الروح في مختلف مواضعها التي وردت في القرآن الكريم، الروح هو جبريل عليه السلام . أما الرازي فأنه ذكر ما ذكره الطبري من اختلاف أهل التأويل في تحديد معنى الروح وختم قوله أن أطلاقات معنى الروح التي وردت فهي من باب المجاز، فالروح عند الرازي تعني الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه.

والراجح من ذلك معنى الروح: الريح، وهذا المعنى الأخير يكون موافقا لمعنى الروح عند أهل اللغة .

المبحث الثاني : بين الروح والنفس

اختلف العلماء في العلاقة بين الروح والنفس، وهل الروح والنفس مترادفان أم لا ؟ جمهور العلماء رجح القول بالترادف بين الروح والنفس، والفرق بينهم فقط في التذكير والتأنيث، وأما من قال الروح غير النفس، فلم أقف إلا على قول ابن منده الذي رواه ابن القيم في كتابه الروح، وبيان ذلك بما يلي:

ذهب جمهور العلماء [1] إلى إن الروح والنفس مترادفان، وهما بمعنى اللطيفة الربانية التي بمفارقتها يموت الإنسان، ولا يتغيران إلا في التذكير والتأنيث، فهذه اللطيفة تسمى روحاً باعتبار أن بها حياة الجسم، ونفساً باعتبار شهواتها.

فالغزالي ذكر إن النفس والروح بمعنى واحد، وهذا المعنى عند أهل التصوف، فالنفس تتصف بالأوصاف المذمومة، فإذا جاهد العبد نفسه من هذه الصفات المذمومة أصبحت روحا، وفي ذلك عبر الغزالي عن الروح بقوله[2]: « اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان».

ويذكر ابن القيم [3]: « وسميت الروح روحا لأن بها حياة البدن ....وسميت النفس روحا لحصول الحياة بها، وسميت نفسا إما من الشيء النفيس؛ لنفاستها وشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج، فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا، ومنه النفس بالتحريك، فإن العبد كلما نام خرجت منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجا كليا، فإذا دفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، فإذا

(١) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ٢/ ٦١٣، تحقيق محمد أجمل أيوب الإصلاحي- كمال بن محمد قالمي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .

(٢) انظر: الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين ٣/ ٤، تقديم صدقي محمد العطار، بيروت – لبنان – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م. وانظر: الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، معارج القدس في معرفة مدارج النفس ص ٤٢، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية، الروح ٢/ ٦١٥-٦١٦، مصدر سابق .

بعث رجعت إليه، فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات» .

وأيضاً ابن حزم يرى [1]: « أن النفس والروح والنسمة أسماء مترادفة لمعنى واحد « .

واستندوا في ذلك على:

- قوله تعالى: « اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» سورة الزمر/ جزء من الآية٤٢.
- قول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ قَبَضَ أَرْوَاحَنَا، وَلَوْ شَاءَ لَرَدَّهَا إِلَيْنَا فِي حِينٍ غَيْرِ هَذَا " [2].
- قول بلال: "أخذ بنفسي الذي أخذ (بأبي أنت وأمي يا رسول الله) بنفسك" [3].

وواضح الجمهور لم يفرق بين معنى الوفاة في الآية الكريمة، ومعنى القبض في الحديث، ومعنى الأخذ في قول بلال رضي الله عنه، وهو ما جاء به القرآن والسنة وموافقة اللغة [4]، « فَالْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ يُشِيرَانِ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ بِلَفْظِ النَّفْسِ مَرَّةً وَبِلَفْظِ الرُّوحِ أُخْرَى» [5].

وأما قول الروح غير النفس، فالروح من صفاتها، إنها لاهوتية، روحانية، وهي نور من نور الله عز وجل، تميل إلى طاعة الله تعالى، وتحث على أعمال الآخرة، وأما النفس، صفاتها، طينية، ناسوتية، تتسم بالهوى والشهوة، تميل إلى الدنيا والركون إليها، والروح لم يوجه إليها الأمر أو النهي، في حين النفس كانت مأمورة بالطاعة ومنهية بالابتعاد عن المعاصي.

قال أبو عبد الله بن منده [6]: «ثم اختلفوا في

(١) انظر: ابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٤٤٣، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، القاهرة – دار ابن الهيثم، ط ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

(٢) انظر: القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٥/ ٢٠٣ الحديث الثالث والأربعون، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوياً محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.

(٣) انظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم ١/ ٤٧١، باب قضاء الصلاة الفائتة، رقم الحديث ٣٠٩، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

(٤) يتوفى: قال ابن منظور: « والوفاةُ الموت وتُوُفِّيَ فلان وتَوَفَّاه الله إذا قَبَضَ نَفْسَه .... ومن ذلك قوله عز وجل الله يَتَوفَّى الأَنْفُسَ حينَ مَوْتِها أَي يَسْتَوفي مُدَد آجالهم في الدنيا وقيل يَسْتَوْفي تَمام عدَدِهم إلى يوم القيامة وأَمّا تَوَفِّي النائم فهو اسْتِيفاء وقْت عَقْله وتمييزه إلى أَن نامَ « . لسان العرب ١٥/ ٤٠٠ مادة وفى، مصدر سابق.

قبض: " القَبْضُ خِلافُ البَسْط قَبَضَه يَقْبِضُه قَبْضاً ... ويَقْبِضُ الأَرْواحَ عند المَمات وفي الحديث يَقْبِضُ اللّه الأَرضَ ويقبض السماء أَي يجمعها وقُبِضَ المريضُ إِذا تُوُفِّيَ وإِذا أَشرف على الموت". لسان العرب ٧/ ٢١٣ مادة قبض، المصدر أعلاه.

أخذ: « الأَخْذ خلاف العطاء وهو أَيضاً التناول أَخذت الشيء آخُذُه أَخذاً تناولته» . لسان العرب٣/ ٤٧٢ مادة أخذ، المصدر أعلاه.

(٥) انظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٥/ ٢٤١، مصدر سابق.

(٦) انظر: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية

معرفة الروح والنفس فالنفس طينية نارية، والروح نورية روحانية . وزعم بعضهم أن الروح لاهوتية، والنفس ناسوتية، وأن الخلق بها ابتلي، وقال طائفة من أهل الأثر، إن الروح غير النفس والنفس غير الروح، وقوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد والهوى والشهوة، والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم منها، فالنفس لا تريد إلا الدنيا ولا تحب إلا إياها، والروح تدعو إلى الآخرة وتؤثرها، وجعل الهوى تبعا للنفس، والشيطان مع النفس والهوى، وجعل الملك مع العقل والروح، والله سبحانه وتعالى يمدهما بإلهامه وتوفيقه. وقال بعضهم، الأرواح من أمر الله أخفى حقيقتها وعلمها عن الخلق . وقال بعضهم، الأرواح نور من نور الله وحياة من حياة الله «.

ومن الأدلة التي استدل بها الفريق الثاني:

- قوله تعالى: « يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨)» سورة الفجر.
- قوله تعالى: " أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ" سورة الزمر/ جزء من الآية ٥٦.

ومما سبق يبدو الراجح قول جمهور العلماء أن الروح والنفس أسمان لمعنى واحد، وبمعنى آخر وجهان لعملة واحدة، وبه تكون حياة الإنسان وبمفارقته يفقد الحياة، وهو الذي أميل إليه وأرتضيه، ويؤيد ذلك المعنى اللغوي المتضمن إن النفس والروح شيء واحد، والفرق بينهما في التذكير والتأنيث [1].

المبحث الثالث:
حكم البحث في حقيقة الروح

قبل الخوض في حقيقة الروح، لا بد من التعرف على حكم البحث في حقيقة الروح، وما هو رأي العلماء في ذلك، واختلف الباحثون في حكم البحث عن حقيقة الروح، ويرجع ذلك إلى اختلافهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) الإسراء، فقسم منهم فسرَّ المراد من الآية الكريمة، لا يجوز البحث عن حقيقة الروح؛ لأنها من الغيب الذي لم يظهره الله تعالى لنا، وفريق آخر قال أنه ليس في الآية ما يشير إلى عدم جواز البحث، الذي تأوله هذا الفريق، وإنما فهموا البحث عن حقيقة الروح نوعاً من العلم الذي دعاء إليه الدين، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾الإسراء، ما يشير إلى ذلك.

لذلك العلماء في حكم البحث عن حقيقة الروح انقسموا إلى فريقين :

وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ٢/ ٣١، دمشق - مؤسسة الخافقين ومؤسستها، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م. و انظر: ابن قيم الجوزية، الروح ٢ / ٦١٨، مصدر سابق. وانظر: ابن مسكويه، السعادة في فلسفة الأخلاق ص٢٠، المطبعة العربية- مصر، ط٢ ١٣٢٦هـ - ١٩٢٨م.

(١) انظر: ابن منظور، لسان العرب ٦/ ٢٣٥ مادة نفس، مصدر سابق.

الأول: ويمثل رأي جمهور المحققين المتضمن الإمساك عن الخوض في حقيقة الروح، والخوض في حقيقتها مكروه [١]، واستدلوا بأنه لم يرد نص من الله تعالى ببيانها، وكل ما كان كذلك فالأولى عدم الخوض فيه.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه [٢]: « قَالَتْ قُرَيْشٌ لِليَهُودِ: أَعْطُونَا شَيْئًا نَسْأَلُ عَنْهُ هَذَا الرَّجُلَ، فَقَالُوا: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَسَأَلُوهُ، فَنَزَلَتْ: وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا [سورة الإسراء/ ٨٥] «.

وكلام الجنيد رحمه الله تعالى يدل على الحرمة حيث قال [٣]: « الروح شيء أستأثر الله بعلمه، فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجودة، ولكن نجعل للصادقين محملا لأقوالهم وأفعالهم « .

والبغوي في تفسيره لمعنى الروح، ذكر عدة أقوال للعلماء في المراد من معنى الروح في الآية، وقال [٤]: « وَأُولَى الْأَقَاوِيلِ: أَنْ يُوكَلَ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ « .

فهذا الرأي يرفض البحث عن حقيقة الروح تنزيهاً على سبيل الندب؛ لأنه خلاف الأدب مع الشارع، أو تحريماً، لأنه مما أستأثر الله تعالى بعلمه.

الثاني: يرى أصحاب هذا الرأي جواز البحث عن حقيقة الروح، وهو ما عليه المالكية، والمعتزلة، وإمام الحرمين، والعز بن عبد السلام وغيرهم [٥] .

وذكر أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان أن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد صاحب مالك قال [٦]: « النفس جسد مجسد كخلق الإنسان، والروح كالماء الجاري، واحتج بقول الله عز وجل: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا} [الزمر: من الآية٤٢]».

وقال النووي [٧]: « وأصح ما قيل فيها على هذه الطريقة ما قاله إمام الحرمين: إنها جسم لطيف شفاف

(١) انظر: حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٨٦، تحقيق علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، المسند ٤/ ١٥٤، رقم الحديث ٢٣٠٩، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٣) انظر: السهروردي، شهاب الدين أبي حفص عمر(ت ٦٣٢هـ)، عوارف المعارف ٢/ ٢٤٣، تحقيق عبد الحليم محمود – محمود بن الشريف، دار المعارف – القاهرة.

(٤) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن ٥/ ١٢٦، تحقيق محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٥) انظر: الأزهري، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي (ت ١٢٣٢هـ)، حاشية ابن الأمير على اتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢٦٦وما بعدها، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

(٦) انظر: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٥/ ٢٤٤-٢٤٥، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي – محمد عبد الكبير البكري، مصدر سابق .

(٧) انظر: علي جمعة محمد الشافعي، حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد ص ٢٧٠، مصدر سابق .

مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر، فتكون سارية في جميع البدن ... والصواب ما قاله إمام الحرمين».

فالملاحظ إن هؤلاء العلماء، بحثوا في حقيقة الروح، وبينوا رأيهم، إضافة لذلك قول الشيخ القاسمي بقوله [1]: « ولو كانت مما لا سبيل لمعرفته لقيل: ﴿ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾ كما قيل في الساعة، أو نحو ذلك . بل لو لم يكن السبيل لمعرفته، ولو جاء بوجه ما، متيسراً لكثير من الناس، لم يكن لأمره بالتفكر فيها . والتبصر في أمرها، للاستدلال بها عليه، والتوسل بواسطة معرفتها إليه، الذي هو الغاية القصوى والثمرة العظمى – من فائدة . بل كان عبثاً . فدل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ [سورةالروم/ جزء من الآية٨]، وقوله: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات/ الآية ٢١]، ونحو ذلك، أنها أمر تدركه العقول، وبه يكون إليه تعالى الوصول» .

فالتفكر في خلق الله أمر دعا إليه القرآن وحث عليه، قال تعالى: « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥)» سورة الطارق، وهو ما يقوم به هذا الرأي في البحث عن حقيقة الروح، وكذلك مما يدل على أن الروح من المسائل التي تخضع للتحصيل والدراسة قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾ سورة الإسراء، الله عز وجل لم يأمر النبي صلى الله تعالى عليه وأله وسلم تسليما بجواب اليهود ؛ حيث كانوا يزعمون أن التوراة بها علم كل شيء، وأما تفسير الآية الكريمة « من أمر ربي »، يراد توجيه اليهود للدخول في الإسلام والإيمان بالله تعالى وإتباع أوامره.

قال السهيلي [2]: « وَأَمْرُ الرّبّ هُوَ الشّرْعُ وَالْكِتَابُ الّذِي جَاءَ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ فِي الشّرْعِ وَتَفَقّهَ فِي الْكِتَابِ وَالسّنّةِ عَرَفَ الرّوحَ، فَكَانَ مَعْنَى الْكَلَامِ أُدْخُلُوا فِي الدّينِ تَعْرِفُوا مَا سَأَلْتُمْ؛ فَإِنّهُ مِنْ أَمْرِ رَبّي، أَيْ مِنْ الْأَمْرِ الّذِي جِئْت بِهِ مُبَلّغًا عَنْ رَبّي، وَذَلِكَ أَنّ الرّوحَ لَا سَبِيلَ إلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ جِهَةِ الطّبِيعَةِ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْفَلْسَفَةِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الرّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَإِنّمَا يُعْرَفُ مِنْ جِهَةِ الشّرْعِ» .

ومما سبق يبدو الراجح في المسألة جواز البحث عن حقيقة الروح؛ من باب التفكر في خلق الله تعالى الذي حث عليه القرآن في مواطن كثيرة من آياته، وعدم أدراك الإنسان لحقيقة الروح بشكل قطعي لهو دليل على عجز الإنسان عن معرفة ما بين جنبيه فضلاً عن إدراك حقيقة مولاه جل وعلا .

(١) القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ١٠/ ٣٩٨٤، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) انظر: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي(ت٥٨١ هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن كثير ٢/ ٧١، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان .

المبحث الرابع: حقيقة الروح

المطلب الأول:

الروح بين الحدوث والقدم

حدوث الروح وقدمها من المسائل المهمة التي دار حولها نقاش وجدل لدى المفكرين، والمفكرون منهم أهل الجماعة والأثر ذهب إلى القول بحدوث الأرواح، وانه لا قديم إلا الله عز وجل، ومنهم من قال بقدم الروح؛ لأنها من أمر الله تعالى، وأمر الله عز وجل قديم، ومنهم توقف عن البحث في حدوث الروح وقدمها.

يقول ابن القيم [1]: « فهذه مسألة زل فيها عالم، وضل فيها طوائف من بني آدم، وهدى الله أتباع رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين، فأجمعت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله وسلامه عليهم».

وللعلماء في حدوث الروح وقدمها ثلاثة أقوال [2]:

الأول: مذهب أهل الجماعة والأثر: الأرواح كلها مخلوقة، واحتجوا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: « الأرواح جنود مجنده فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» [3].

والشيخ ابن تيمية فصل القول في الإجابة عن الأرواح قديمة أم مخلوقة، ومما قاله الشيخ ابن تيمية [4]: « روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين».

كما أكد اجماع المسلمين على خلق الأرواح الشيخ محمد بن نصر المروزي [5]: « وَلَا خلاف بَين الْمُسلمين أَن الْأَرْوَاح الَّتِي فِي آدم وبنيه وَعِيسَى وَمن سواهُ من بنى آدم كلهَا مخلوقة لله، خلقهَا وأنشأها وَكَونهَا واخترعها ثمَّ أضافها إِلَى نَفسه كَمَا أَضَاف إِلَيْهِ سَائِر خلقه، قَالَ تَعَالَى: «وسخر لكم مَا فِي السَّمَوَات وَمَا فِي الأَرْض جَمِيعًا مِنْهُ» [سورة الجاثية/ جزء من الآية١٣].

الثاني: الأرواح من أمر الله تعالى، لا يعلم حقيقتها وعلمها إلا الله عز وجل، واحتجوا بقول الله تعالى: « قل الروح من أمر ربى» سورة الإسراء/ جزء من الآية ٨٥.

---

(١) انظر: الروح ٢/ ٤٢٠، مصدر سابق .

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٢٢.

(٣) انظر: مسلم، صحيح مسلم ١/ ٤٧١، باب الأرواح جنود مجندة ٤/ ٢٠٣١، رقم الحديث ٢٦٣٨، مصدر سابق، وانظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، المسند ٤/ ١٥٤، رقم الحديث ٧٨٣٥، مصدر سابق.

(٤) انظر: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى ٤/ ٢١٦، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

(٥) التيمي، أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني(ت ٥٣٥هـ)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ١/ ٤٦٩، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

ولا يصح الاحتجاج بهذه الآية؛ لما تم توضيحه من المراد من الآية الكريمة في المبحث السابق في حكم البحث عن حقيقة الروح .

الثالث: الأرواح قديمة؛ لأنها نور من نور الله تعالى، لقول النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم [1]: « إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره».

وهذا القول لا يصح مطلقا، وقد رد أكابر العلماء هذا القول الذي يزعم قدم روح الإنسان، قال ابن القيم [2]: « قَدْ تَكَلَّمَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ طَوَائِفُ مِنْ أَكَابِرِ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ وَرَدُّوا عَلَى مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهَا غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، وَصَنَّفَ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَنْدَهْ فِي ذَلِكَ كِتَابًا كَبِيرًا، وَقَبْلَهُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ الْمَرْوَزِيُّ وَغَيْرُهُ، وَالشَّيْخُ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ وَأَبُو يَعْقُوبَ النَّهْرَجُورِيُّ وَالْقَاضِي أَبُو يَعْلَى، وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْأَئِمَّةُ الْكِبَارُ وَاشْتَدَّ نَكِيرُهُمْ عَلَى مَنْ يَقُولُ ذَلِكَ فِي رُوحِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَيْفَ بِرُوحِ غَيْرِهِ ؟ كَمَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كَتَبَهُ فِي مَحْبِسِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الزَّنَادِقَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ «.

ولو كانت قديمة لكانت مستغنية بنفسها، واستغناء الأرواح بنفسها واضح البطلان؛ لأنه لا قديم إلا الله تعالى، وفي هذا المعنى قال ابن القيم [3]: « ومعلوم أنها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها، وهذا من أبطل الباطل؛ فإن فقرها إليه سبحانه في وجودها وكمالها وصلاحها هو من لوازم ذاتها ليس معللا بعلة فإنه أمر ذاتي لها، كما أن غنى ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللا بعلة فهو الغني بالذات، وهي الفقيرة إليه بالذات، فلا يشاركه سبحانه في غناه مشارك، كما لا يشاركه في قدمه وربوبيته وإلهيته وملكه التام وكماله المقدس مشارك، فشواهد الخلق والحدوث على الأرواح كشواهده على الأبدان».

ومما تقدم فالروح حادثة وليست قديمة، وبطلان قدمها أوضح من الشمس؛ لأنه لا قديم إلا الله سبحانه، وإنه وحده الخالق، وما سواه مخلوق ومفتقر إليه .

فالروح حادثة وليست قديمة، يبقى العلماء اختلفوا في حدوث الروح بالنسبة للبدن، هل كان خلق الروح قبل البدن؟ أم خلق الروح بعد البدن؟ وسيتضح ذلك في المطلب الثاني.

(١) انظر: الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي ٥/ ٢٦، رقم الحديث ٢٦٤٢، تحقيق أحمد محمد شاكر – ومحمد فؤاد عبد الباقي – إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

(٢) انظر: الروح ٢/ ٤٢٥، مصدر سابق. وانظر: السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ٢/ ٣٥، مصدر سابق.

(٣) الروح ٢/ ٤٣٥-٤٣٦، مصدر سابق.

المطلب الثاني: تعلق الروح بالبدن

من العلماء من ذهب إلى القول بحدوث الروح قبل البدن، وقائل بحدوثها بعد البدن، ولكل فريق أدلته التي استدل بها لتأييد ما ذهب إليه .

يقول صاحب المواقف [1]: « اتفق عليه المليون على حدوث النفس إذ لا قديم عندهم إلا الله، وصفاته عند من أثبتها زائدة على ذاته، لكنهم اختلفوا في أنها هل تحدث مع حدوث البدن أو قبله».

جمهور المتكلمين ذهبوا إلى أن الأرواح موجودة قبل الأبدان، « وممن ذهب إلى هذا القول محمد بن نصر المروزي، وأبو محمد بن حزم الظاهري الأندلسي ... حتى حكاه ابن حزم إجماعا» [2]، وأنها كانت على اتصال بالملأ الأعلى حيث لم يحجبها يومئذ مادة ثقيلة أو شهوة دنيئة .

ومن الأدلة التي استدلوا بها على رأيهم:

قوله تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ " سورة الأعراف/ جزء من الآية ١١، ووجه الاستدلال أن " ثم " هنا للترتيب والمهلة وأن الخطاب لبني آدم جميعاً، قال ابن حزم: " وَثمّ توجب فِي اللُّغَة الَّتِي بهَا نزل الْقُرْآن التعقيب بمهلة، ثمَّ يصور الله تَعَالَى من الطين أجسامنا من اللَّحْم وَالدَّم وَالْعِظَام" [3]، والمعنى أن الخلق للجميع كان أولاً ثم بعده كان التصوير للجميع أيضاً، ثم تلى ذلك ظهور آدم وإدخاله الجنة، ثم هبوطه على الأرض لابتداء الحياة البشرية، ومعلوم أن الأبدان لم تك مخلوقة وقتئذ، فثبت قطعاً أن الخلق والتصوير كان للأرواح.

قوله تعالى: " وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) " سورة الأعراف، " وَهَذَا الِاسْتِنْطَاقُ وَالْإِشْهَادُ إِنَّمَا كَانَ لِأَرْوَاحِنَا إِذْ لَمْ تَكُنِ الْأَبْدَانُ حِينَئِذٍ مَوْجُودَةً " [4] .

ولا شك أن هذه الشهادة والإقرار لله تعالى بالوحدانية من قبل الأرواح قبل خلق الأجساد؛ لأن الأبدان لم تكن مخلوقة، " فدل ذلك على أنه من الأرواح فتكون مخلوقة قبل الأجساد" [5]، ويؤيد

(١) انظر: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، المواقف ٢/ ٦٧٧، بشرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢) انظر: المالكي، محمد حسين مخلوف العدوي، المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية ص ٦٠، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط٢، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/ ٥٠٦، مصدر سابق .

(٤) انظر: السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ٢/ ٤٠، مصدر سابق.

(٥) محمد سيد احمد المسير، الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ٧٨-٧٩، دار المعارف - القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م .

ذلك، ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، قول رَسُولُ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم [1]: « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ على ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلْجَنَّةِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلنَّارِ وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلى الله عَلَيه وَسَلم: إِنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلُهُ بِهُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ فَيُدْخِلُهُ بِهُ النَّارَ»، وما روي عن عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ [2]: « جَمَعَهُمْ لَهُ يَوْمَئِذٍ جَمِيعًا مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَجَعَلَهُمْ أَرْوَاحًا، ثُمَّ صَوَّرَهُمْ، وَاسْتَنْطَقَهُمْ، فَتَكَلَّمُوا، وَأَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ، وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ، وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ، أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ، قَالَ: فَإِنِّي أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ، وَأُشْهِدُ عَلَيْكُمْ أَبَاكُمْ آدَمَ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ نَعْلَمْ، أَوْ تَقُولُوا إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ، فَلَا تُشْرِكُوا بِي شَيْئًا، فَإِنِّي أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ رُسُلِي، يُذَكِّرُونَكُمْ عَهْدِي وَمِيثَاقِي، وَأُنْزِلُ عَلَيْكُمْ كُتُبِي، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ رَبُّنَا، وَإِلَهُنَا لَا رَبَّ لَنَا غَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ لَنَا غَيْرُكَ « .

وأما الفريق الثاني الذي قال بخلق الأرواح بعد الأبدان، فقد استدل بأدلة كثيرة منها :

١- قوله تعالى: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) " سورة المؤمنون .

ووجه الاستدلال أن الحق تبارك وتعالى، بعد أن عدد أطوار خلق البدن، قال " ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا "، والمراد بالخلق الآخر، " إفاضة النفس " [3]، فالآية من دلالتها حدوث النفس بعد الأطوار المختلفة.

٢- قوله تعالى: « إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) « سورة ص .

ووجه الاستدلال أن الآية دلت على أن نفخ الروح أي خلقها متأخر عن تسوية البدن .

(١) انظر: أنس، مالك بن أنس (ت ١٧٧هـ)، موطأ الإمام مالك ٢/ ٤٧٦، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م .

(٢) انظر: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين ٢/ ٣٥٣ رقم الحديث٣٢٥٥، تحقيق مصطفى عبد القدر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) انظر: الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، المواقف ٢/ ٦٧٥، مصدر سابق .

٣- ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم [١]: « إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح « .

ووجه الاستدلال: « أن خلق البدن متقدم على إرسال الملك لنفخ الروح أي خلقها حينئذ « [٢] .

فالذي يفهم من أدلة الفريقين، أن الأرواح التي أشهدها الله على أنفسها في عالم الذر أسبق من الأبدان، ولكن الأرواح التي ينفخها الملك في كل فرد على حدة في وقتها المحدد لها من قبل ربها، بعد اكتمال خلق الإنسان، فهي متأخرة عن البدن، كما دل على ذلك الحديث.

وما ذكرته أخيراً هو الذي أميل إليه وأرتضيه.

وفيما يتعلق بالروح والبدن، فقد أتفق أغلب العلماء على بقاء الروح بعد الموت ومفارقتها البدن، ولم يخالف في ذلك إلا نفر قليل لا يعتد برأيهم، « وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مُسْتَقَرُّ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ أَبْدَانِهَا الْعَدَمُ الْمَحْضُ، وَهَذَا أَيْضًا بَاطِلٌ لَا يُلْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْقَوْلِ يَزْعُمُ أَنَّ الرُّوحَ عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْبَدَنِ وَهُوَ الْحَيَاةُ « [٣]، زعموا أن الأرواح تعدم جملة بالموت، ولا تبقى هناك روح تنعم وتعذب، بل النعيم يقع على أجزاء الجسد، أو على جزء منه .

والصواب بقاء الأرواح، فلا يلحقها فناء ولا عدم ولا اضمحلال، وقد دلت الأحاديث على نعيم الأرواح وعذبها بعد مفارقتها الأبدان، إلى أن يرجعها الله تعالى إليها، ولو ماتت لأنقطع عنها النعيم والعذاب، قال تعالى :» وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) « سورة آل عمران .

أما عند النفخة الأولى، فقد ذهب العلماء إلى فريقين، فريق يرى أن الروح تفنى عند النفخة الأولى لأنها نفس، واستدلوا بقوله تعالى: « كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧) « سورة الرحمن، وبقوله تعالى: « كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ» سورة آل عمران/ جزء من الآية ١٨٥، وقالوا إذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية أولى بالموت .

ومذهب الأكثرين: أن الروح لا تفنى عند النفخة الأولى، قال تعالى: « وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ

(١) البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه ٢/ ٤٢٢، كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة برقم ٣٢٠٨، تحقيق محب الدين الخطيب – محمد فؤاد عبد الباقي – قصي محب الدين الخطيب، القاهرة – المكتبة السلفية، ط ١، ١٤٠٠هـ .

(٢) محمد سيد احمد المسير، الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة ص ٨٠، مصدر سابق .

(٣) انظر: السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ٢/ ٤٨، مصدر سابق.

فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٨) « سورة الزمر، وقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ « [1]، فالروح لا تموت بل يستمر بقاؤها، « وأنها تعاد إلى البدن على وجه يوجب له الحياة المذكورة هو الصواب الذي ذهب إليه أهل الحق، للأحاديث الدالة على نعيمها وعذابها إلى البدن بعد المفارقة» [2] .

فالراجح من تعلق الروح بالبدن أنها لا تموت، وتعاد إلى الجسد، كما مرَّ تفصيله، وهذا ما أرتضيه.

يبقى ما هي حقيقة الروح التي لا تموت ؟ هل الروح جوهر مجرد أم الروح جسم نوراني ؟ والإجابة عن هذه الأسئلة سنتعرف عليها من خلال المطلب الثالث.

المطلب الثالث: حقيقة الروح بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين

العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع، اختلفوا في حقيقة هذا الوجود، وفي هذا المطلب ساذكر الراجح من آراء كل من المتكلمين والفلاسفة في حقيقة الروح.

أولا: حقيقة الروح عند المتكلمين

للمتكلمين في تصورهم للروح أقوالاً تضمنت وصف الروح بأنها جسم مخالف بالماهية للجسم الذي يتولد منه الأعضاء وكما موضح ادناه:

جمهور المتكلمين يصفون الروح أنها جسم، يذكر صاحب المقاصد قول جمهور المتكلمين بقوله [3]: « أنها جسم مخالف بالماهية للجسم الذي يتولد منه الأعضاء، نوراني علوي خفيف حي لذاته، نافذ في جواهر الأعضاء سار فيها سريان ماء الورد في الورد والنار في الفحم، لا يتطرق إليه تبدل ولا انحلال، بقاؤه في الأعضاء حياة، وانتقاله عنها إلى عالم الأرواح موت، وقيل أنها أجسام لطيفة متكونة في القلب، سارية في الأعضاء من طريق الشرايين أي العروق الضاربة أو متكونة في الدماغ نافذة في الأعصاب النابتة منه إلى جملة البدن « .

فالنظام من المعتزلة يرى[4]: « إن الروح جسم لطيف مشابك للبدن، مداخل للقلب بأجزائه مداخلة المائية في الورد، والدهنية في السمسم، والسمنية في اللبن» .

(١) ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ)، المسند ٣٠/ ٥٠٠، رقم الحديث ١٨٥٣٤، مصدر سابق.

(٢) انظر: المالكي، محمد حسين مخلوف العدوي، المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية ص ١٣١، مصدر سابق.

(٣) سعد الدين التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٣هـ)، شرح المقاصد ٢/ ٤٥٥، تقديم إبراهيم شمس الدين، بيروت – دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .

(٤) انظر: الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل ١/ ٥٠، تحقيق احمد حجازي السقا – محمد رضوان مهنا، مصر – المنصورة – مكتبة الإيمان، ط ١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

ووافق النظام بالاتجاه المادي الجبائي[1]: « الروح جسم، وأنها غير الحياة، والحياة عرض» .

وكذلك ابن حزم بعد أن ذكر اختلاف الناس في النفس قال [2]: « وذهب سائر أهل الإسلام والملل المقرة بالميعاد إلى أن النفس جسم طويل عريض عميق، ذات مكان عاقلة، مميزة مصرفة للجسد « .

ولم يبتعد إمام الحرمين عن وصف الروح بالجسم، فهو يقول [3]: « أن الروح أجسام لطيفة مشابكة للأجسام المحسوسة، أجرى الله تعالى العادة باستمرار حياة الأجسام ما استمرت مشابكتها لها، فإذا فارقتها يعقب الموت الحياة في استمرار العادة « .

واختار ابن القيم القول الصواب كما قال [4]: «جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح « .

وذكر الرازي في تفسيره قول الناس من يصف الروح بأنها أجسام نورانية، بأنه مذهب قوي موافق لنصوص الحياة والموت في الكتب الإلهية، ونص ذلك الوصف: « الرُّوحُ عِبَارَةٌ عَنْ أَجْسَامٍ نُورَانِيَّةٍ سَمَاوِيَّةٍ لَطِيفَةٍ، وَالْجَوْهَرُ عَلَى طَبِيعَةِ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَهِيَ لَا تَقْبَلُ التَّحَلُّلَ وَالتَّبَدُّلَ وَلَا التَّفَرُّقَ وَلَا التَّمَزُّقَ فَإِذَا تَكَوَّنَ الْبَدَنُ وَتَمَّ استعداده وهو المراد بقوله: فَإِذا سَوَّيْتُهُ نَفَذَتْ تِلْكَ الْأَجْسَامُ الشَّرِيفَةُ السَّمَاوِيَّةُ الْإِلَهِيَّةُ فِي داخل أعضاء الْبَدَنِ نَفَاذَ النَّارِ فِي الْفَحْمِ وَنَفَاذَ دُهْنِ السِّمْسِمِ فِي السِّمْسِمِ، وَنَفَاذَ مَاءِ الْوَرْدِ فِي جِسْمِ الْوَرْدِ، وَنَفَاذُ تِلْكَ الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ فِي جَوْهَرِ الْبَدَنِ هُوَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي [ص: ٧٢] ثُمَّ إِنَّ الْبَدَنَ مَا دَامَ يَبْقَى سَلِيمًا قَابِلًا لِنَفَاذِ تِلْكَ الْأَجْسَامِ الشَّرِيفَةِ بَقِيَ حَيًّا، فَإِذَا تَوَلَّدَتْ فِي الْبَدَنِ أَخْلَاطٌ غَلِيظَةٌ مَنَعَتْ تِلْكَ الْأَخْلَاطُ الْغَلِيظَةُ مِنْ سَرَيَانِ تِلْكَ الْأَجْسَامِ الشَّرِيفَةِ فِيهَا فَانْفَصَلَتْ عَنْ هَذَا الْبَدَنِ فَحِينَئِذٍ يَعْرِضُ الْمَوْتُ، فَهَذَا مَذْهَبٌ قَوِيٌّ شَرِيفٌ يَجِبُ

(١) انظر: الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل (٣٣٠هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ٢/ ٢٨، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة – مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

(٢) انظر: ابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢/ ٤٢٥، مصدر سابق .

(٣) – الجويني، إمام الحرمين(ت ٤٧٨هـ)، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ص ٣٧٧، تحقيق محمد يوسف موسى – علي عبد المنعم عبد الحميد، مصر – مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م.

(٤) انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ص ١٧٨ وما بعدها، مصدر سابق .

التَّأَمُّلُ فِيهِ فَإِنَّهُ شَدِيدُ الْمُطَابَقَةِ لِمَا وَرَدَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ مِنْ أَحْوَالِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ» (١) .

ومما تقدم يتبين أن للروح وجوداً مغايراً لوجود البدن المادي المحسوس وأن الأدلة الشرعية واضحة في إثبات هذا الوجود، فهو جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، نوراني علوي، خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد .

ثانيا: حقيقة الروح عند الفلاسفة المسلمين

لفلاسفة الإسلام عناية بموضوع النفس، ولهم فيها مؤلفات شتى، ويتفقون على وجود النفس واختلافها عن البدن، وأن اختلفوا في جوهريتها، ومن أقوال الفلاسفة في النفس:

نجد الكندي يصف النفس (٢): « جوهر بسيط، شريف الطبع، جوهرها من جوهر الله، فيها روح منه، وهي نور من نوره، هي منه كالضياء من الجسم؛ مستقلة عن الجسم» .

أما ابن سينا فيقول (٣): « والنفس الناطقة إذا أقبلت على العلوم سمي فعلها عقلاً، وسميت بحسبه عقلاً نظرياً ... وإذا أقبلت على قهر القوى الذميمة الداعية إلى الجريرة بإفراطها، والغباوة بتفريطها، والتهور بثوراتها ... وبالجملة إلى العدالة سمي فعلها سياسة، وسميت بحسبه عقلاً نظرياً . وقد تستعد القوة الناطقة في بعض الناس من اليقظة والاتصال بالعقل الكلي بما ينزهها عن الفزع عند التعرف إلى القياس والروية، بل يكفيها مؤونتها الإلهام والوحي، وتسمى خاصيتها هذه تقديساً، وتسمى بحسبه روحاً مقدساً، ولن يحظى بهذه الرتبة إلا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام « .

وإذا ذهبنا إلى الفارابي نجد عنده رؤية لأجزاء النفس الإنسانية، فهو يرى أن هناك قوى مختلفة في الإنسان، تقوم بالوظائف المنوطة بها، ومن هذه القوى، القوة الغاذية، القوة المتخيلة، القوة الناطقة، وهذه القوى لها خدم ورواضع، ثم هو يصف القوة الناطقة بأنها هي القوة الرئيسة والمسؤولة عن وظائف الجسد، وفي ذلك يقول (٤): « وأما القوة الناطقة، فلا رواضع ولا خدم لها من نوعها في سائر الأعضاء، بل إنما رئاستها على سائر القوى المتخيلة، والرئيسة من كل جنس فيه ورئيس ومرؤوس . فهي رئيسة القوة المتخيلة، ورئيسة القوة الحاسة الرئيسة منها، ورئيسة

(١) انظر: الرازي، الإمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب ٢١/ ٤٥، مصدر سابق .

(٢) الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح(ت ٢٥٢هـ)، رسائل الكندي الفلسفية ١/ ٢٧١، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م.

(٣) انظر: أحوال النفس ص ١٧٠ وما بعدها، تحقيق أحمد الأهواني، دار بيبليون – باريس، ٢٠٠٧م.

(٤) انظر: أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة ص ٨٩، تقديم الدكتور البير نصري نادر، دار المشرق بيروت – لبنان، ط ٢، توزيع المكتبة الشرقية ١٩٨٦م.

القوة الغاذية الرئيسة منها « .

في حين الغزالي تكلم في الروح من حيث إطلاق اللفظ، وله معنيين، حيث يقول [1]: « أحدهما جنس لطيف منبعه تجويف القلب الجسماني، فينشر بواسطة العروق الضوارب إلى سائر أجزاء البدن، وجريانه في البدن وفيضان أنوار الحياة، والحس والبصر والسمع والشم منها على أعضائها، يضاهي فيضان النور من السراج الذي يدار في زوايا البيت، فإنه لا ينتهي إلى جزء من أجزاء البيت إلا وستنير به، والحياة مثالها النور الحاصل في الحيطان، والروح مثالها السراج، وسيان الروح وحركته في الباطن مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه ... المعنى الثاني، هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان، وهو الذي شرحناه في أحد معاني القلب، وهو الذي أراده الله تعالى بقوله:(قل الروح من أمر ربي) وهو أمر عجيب رباني تعجز أكثر العقول والأفهام عن درك حقيقته « .

وأما أصل كلمة الروح فلم يتكلم الغزالي فيه، واكتفى بالقول أن أصل الروح هو من أمر ربي كما جاء به التنزيل، والعقول البشرية قاصرة عن إدراك ووصف الروح، فكما خلق الله تعالى الإنسان في أطوار مختلفة، فإدراك الروح يتم بنور أعلى من العقل، وهذا النور يدرك في عالم النبوة والولاية، حيث يقول [2]: « وأما الروح التي هي الأصل، وهى التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن، فذلك سر من أسرار الله تعالى، لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني، كما قال تعالى:(قل الروح من أمر ربى) والأمور الربانية لا تحتمل العقول وصفها، بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق، وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة، قصور البصر عن إدراك الأصوات، وتتزلزل في ذكر مبادئ وصفها معاقد العقول المقيدة بالجوهر والعرض، المحبوسة في مضيقها، فلا يدرك بالعقل شيء من وصفه، بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال، وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا، فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات؛ لأن ذلك طور لم يبلغه بعد، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها؛ لأن ذلك طور لم يبلغه بعد وإنه لمقام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية، فيها يلحظ جنات الحق بنور الإيمان واليقين».

ومما سبق يمكن حصر اختلاف مفكروا الإسلام في طبيعة النفس، فمنهم من نحا نحو المادية، وأغلبيتهم وصف النفس بالتميز البدن، ويرون أن النفس حقيقة مجردة متميزة من الجسم تمام التميز، وتكمن سعادة الإنسان من خلال الاتصال بالعالم العلوي، فجمهور المتكلمين ذهبوا إلى القول، أن للروح وجوداً مغايراً لوجود البدن المادي المحسوس، مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي، متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها

(١) انظر: الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين ٣/ ٤، مصدر سابق .

(٢) المصدر السابق ٤/ ٩٨- ٩٩ .

سريان الماء في الورد .

وأما قول الفلاسفة بحقيقة الروح فهو تمام قول المتكلمين، الذين ذهبوا إلى القول بأن الروح عبارة عن أجزاء نورانية سماوية لطيفة الجوهر، على طبيعة ضوء الشمس، وهي لا تقبل التحلل والتبدل ولا التفرق والتمزق .

ويبدو الراجح مما سبق الروح سر من أسرار الله تعالى الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن أَطَّلع عليه، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت وكما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾ سورة الإسراء، فحقيقة الروح لا تدرك بالعقل -كما ذهب إلى ذلك الغزالي - بل بنور آخر أعلى وأشرف من العقل، يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية، نسبته إلى العقل نسبة العقل إلى الوهم والخيال،وقد خلق الله تعالى الخلق أطوارا، فكما يدرك الصبي المحسوسات ولا يدرك المعقولات، لأن ذلك طور لم يبلغه بعد، فكذلك يدرك البالغ المعقولات ولا يدرك ما وراءها؛ لأن ذلك طور لم يبلغه بعد .

الخاتمة وفيها أهم النتائج

كلمة الروح في اللغة أصلها الريح وقلبت الياء واواً لانكسار ما قبلها وهذا المعنى يفيد الخفة وسرعة الحركة، والآيات القرآنية التي وردت بها كلمة الروح، المراد من كلمة الروح جبريل عليه السلام، وللرازي رأي آخر هو أن أطلاقات معنى الروح التي وردت، هي من باب المجاز، فالروح عند الرازي تعني الريح المتردد في مخارق الإنسان ومنافذه، والعلاقة بين الروح والنفس الترادف، فالروح والنفس اسمان لمعنى واحد، وبه تكون حياة الإنسان وبمفارقته يفقد الحياة .

وللعلماء في حكم البحث في الروح قولان، فمنهم من أمسك البحث في حقيقة الروح واستدل هذا الفريق بقوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) ﴾سورة الإسراء، فهموا أن الآية تضمنت صرف النظر في البحث عن حقيقة الروح، والفريق الثاني يرى جواز البحث عن حقيقة الروح واستدلوا بقوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ وقوله ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ونحو ذلك، فالتفكر في خلق الله هو دليل هذا المذهب في البحث عن حقيقة الروح وهو أمر دعا إليه القرآن وحث عليه في كثير من آياته، وهو الراجح في المسألة .

مسألة حدوث الروح وقدمها من المسائل المهمة التي دار حولها نقاش وجدل طويل، فمن العلماء من ذهب إلى القول بحدوثها، ومنهم من قال بقدمها والراجح من ذلك أن الروح حادثة وليست قديمة، لأنه لا قديم إلا الله سبحانه، وإنه وحده الخالق وما سواه مخلوق ومفتقر إليه، وللعلماء في حدوث الروح بالنسبة للبدن قولان، منهم من يقول بحدوث الروح

قبل البدن، وقائل بحدوثها بعد البدن، والراجح أن الأرواح التي أشهدها الله على أنفسها في عالم الذر أسبق من الأبدان، ولكن الأرواح التي ينفخها الملك في كل فرد على حدة في وقتها المحدد لها من قبل ربها، بعد اكتمال خلق الإنسان، فهي متأخرة عن البدن، عند النفخة الأولى مذهب أكثر العلماء أن الروح لا تفنى، بل يستمر بقاؤها إلى أن تعود إلى أجسامها عند البعث، واستدلوا بالأحاديث الدالة على أن الأرواح بعد مفارقة الأبدان تبقى منعمة أو معذبة، إلى أن يرجعها الله تعالى إلى أجسادها عند البعث .

وللمتكلمين في حقيقة الروح قولان، فمنهم من يرى أن للروح وجوداً مغايراً لوجود البدن المادي المحسوس وأن الأدلة الشرعية واضحة في إثبات هذا الوجود، فهو جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، ومنهم من يرى عكس ذلك أنها ليست جسماً ولا عرضاً لجسم، فلا طول لها ولا عرض، ولا مكان لها في الحقيقة، ولا تماس شيئاً، ولا يماسها شيء، ولا تجوز عليها الحركة والسكون ولا الألوان ولا الطعوم، والرأي الأخير هو تمام قول الفلاسفة في حقيقة الروح، فقد ذهب الفلاسفة إلى القول بأن الروح عبارة عن أجزاء نورانية سماوية لطيفة الجوهر، على طبيعة ضوء الشمس وهي لا تقبل التحلل والتبدل ولا التفرق والتمزق .

بعد عرض مفردات البحث في حقيقة الروح، أتضح لي أن الروح سر من أسرار الله تعالى الربانية لا تحتمل العقول وصفها بل تتحير فيها عقول أكثر الخلق فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن أَطَّلع عليه، وإنما المأذون فيه ذكر حال الروح بعد الموت وكما دل عليه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ سورة الإسراء .

المصادر والمراجع

١. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥ هـ): معجم مقاييس اللغة ٢/ ٤٥٤، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢. ابن منظور(ت ٧١١هـ): لسان العرب ٢/ ٤٥٥ مادة روح، دار صادر بيروت - لبنان، ط ١.

٣. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠.

٤. الرازي، الإمام محمد فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الري (ت ٦٠٤هـ)، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٥. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الروح في الكلام على أرواح الأموات

والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، تحقيق محمد أجمل أيوب الإصلاحي- كمال بن محمد قالمي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع .

٦. الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، تقديم صدقي محمد العطار، بيروت – لبنان – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٧. الغزالي، أبي حامد محمد بن محمد (ت٥٠٥هـ)، معارج القدس في معرفة مدارج النفس، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م.

٨. ابن حزم الأندلسي الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق أبو عبد الرحمن عادل بن سعد، القاهرة – دار ابن الهيثم، ط ١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م .

٩. القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوياً محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.

١٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري (ت٢٦١هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.

١١. شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، دمشق – مؤسسة الخافقين ومؤسستها، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٢. ابن مسكويه، السعادة في فلسفة الأخلاق، المطبعة العربية- مصر، ط٢ ١٣٢٦هـ- ١٩٢٨م.

١٣. حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد، تحقيق علي جمعة محمد الشافعي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

١٤. ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت ٢٤١هـ): المسند ٤، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

١٥. السهروردي، شهاب الدين أبي حفص عمر(ت ٦٣٢هـ)، عوارف المعار، تحقيق عبد الحليم محمود – محمود بن الشريف، دار المعارف – القاهرة.

١٦. محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت٥١٠هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

١٧. الأزهري، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السنباوي (ت ١٢٣٢هـ)، حاشية ابن الأمير على اتحاف المريد شرح جوهرة التوحيد، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

١٨. القاسمي، محمد جمال الدين، تفسير القاسمي

المسمى محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.
١٩. أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي(ت٥٨١هـ)، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن كثير، تحقيق مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان .
٢٠. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت ٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة المنورة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
٢١. التيمي، أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني(ت ٥٣٥هـ)، الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية للنشر والتوزيع – الرياض، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٢٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك(ت ٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر – ومحمد فؤاد عبد الباقي – إبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م
٢٣. الإيجي، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ)، المواقف، بشرح السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٢٤. المالكي، محمد حسين مخلوف العدوي، المطالب القدسية في أحكام الروح وآثارها الكونية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، ط٢، ١٣٨٢هـ – ١٩٦٣م.
٢٥. محمد سيد احمد المسير، الروح في دراسات المتكلمين والفلاسفة، دار المعارف – القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨م .
٢٦. أنس، مالك بن أنس (ت ١٧٧هـ)، موطأ الإمام مالك، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط ٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٢٧. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القدر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢، ١٤٢٢ه – ٢٠٠٢م.
٢٨. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق محب الدين الخطيب – محمد فؤاد عبد الباقي – قصي محب الدين الخطيب، القاهرة – المكتبة السلفية، ط ١، ١٤٠٠هـ .
٢٩. سعد الدين التفتازاني، مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٣هـ)، شرح المقاصد، تقديم إبراهيم شمس الدين، بيروت – دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٣٠. الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تحقيق احمد حجازي السقا – محمد رضوان مهنا، مصر – المنصورة – مكتبة الإيمان، ط ١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م

.

٣١. الأشعري، أبي الحسن علي بن إسماعيل (٣٣٠هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة – مكتبة النهضة المصرية، ط ١، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

٣٢. الجويني، إمام الحرمين(ت ٤٧٨هـ)، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى – علي عبد المنعم عبد الحميد، مصر – مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م.

٣٣. الكندي، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح(ت ٢٥٢هـ)، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، ١٣٦٩هـ – ١٩٥٠م.

٣٤. ابن سينا، أحوال النفس، تحقيق أحمد الأهواني، دار بيبليون – باريس، ٢٠٠٧م.

٣٥. أبو نصر الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، تقديم الدكتور البير نصري نادر، دار المشرق بيروت – لبنان، ط ٢، توزيع المكتبة الشرقية ١٩٨٦م.